

الشعائر الحسينية وأثرها في المجتمع الإيماني

الشعائر جمع شعيرة وهي في اللغة: العلامة كما عن الصحاح^(١).

ومنه إطلاق هذا اللفظ على الأعمال العبادية (أقوالا كانت أو أفعالا) والطقوس التي تقوم بها مجموعة من الناس، تنتمي إلى دين معين، أو طائفة معينة، فتكون تلك الأعمال علامات على أهل ذلك الدين، وأن من يأتي بها ويلتزم بها يكون متبعا للدين أو المذهب الذي ترمز له تلك الشعائر.

فعلى هذا الأساس لما كانت الشعائر تمثل أحكام الدين وتعاليمه من واجبات، ومستحبات، ومحرمات، فقد حظيت باهتمام الدين الاسلامي؛ لكونها تمثل أحكامه وتعاليمه التي كان أبرزها ما يسمى بفروع الدين، ومما ينبغي الإشارة إليه أن الشعائر الإسلامية لا بد أن تكون منسوبة إلى الله تعالى، ومجعولة من قبله؛ لبطلان التشريع والابتداع عند جميع المسلمين، وهذا المعنى يؤكد القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾^(٢)، فلا يحق لأي فرد من أفراد المسلمين إضافة أي شعيرة، أو تشريع حكم وينسبه إلى الإسلام، والإسلام منه براء، هذا على مستوى جميع المسلمين.

ثم انفرد شيعة أهل البيت عليهم السلام بشعائر لم تكن عند الفرق الأخرى، فإنهم تميزوا بها حتى أصبحت

(١) الصحاح: ٦٩٩/٢.

(٢) سورة المائدة: ٢.

علامة دالة عليهم، ويعرف من يارسها بأنه شيعي غالبا، وهذه الشعائر والعلامات كثيرة أبرزها ما يعرف بـ(الشعائر الحسينية).

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن تسمية الشعائر ونسبتها إلى الإمام الحسين عليه السلام لا يخرجها عن شعائر الله تعالى، ولا يجعلها أعمالا مبتدعة، وينسب من يعملها إلى الضلال، بل هي من أبرز شعائر الله تعالى، وقد تقدم آنفا أن شعائر الله تعالى هي أحكامه (وأوامره ونواهيه وغيرها)، ومعلوم لدى جميع المسلمين أن من جملة ما أمر الله تعالى به، وحث على التمسك به هو مودة أهل البيت عليهم السلام، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣)، والإمام الحسين عليه السلام هو سبط رسول الله ﷺ ومن أجلى مصاديق قرابته، فعلى هذا تكون الأعمال والشعائر التي يأتي بها الشيعة إنما هي امثالاً لأمر الله تعالى بمودته، وتأسيسا برسول الله ﷺ الذي كان يؤدي هذه الشعائر، فقد روى غير الشيعة كابن حجر في حديث طويل عن عائشة، قالت: «دخل الحسين بن علي على رسول الله وهو يوحى إليه، فقال إن أمتك ستفتن بعدك وتقتل ابنك هذا بعدك، ومد يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال في هذه يقتل ابنك... ثم تذكر عائشة أن النبي خرج إلى أصحابه وهو يبكي والتربة في يده»^(٤)، حيث أنه كان من أبرز الشعائر الحسينية التي فعلها أو ذكرها رسول الله ﷺ هي:

(٣) سورة الشورى: ٢٣.

(٤) الصواعق المحرقة لابن حجر: ٥٦٦/٢.

أولاً: البكاء على سيد الشهداء عليه السلام فإن البكاء عليه وإحياء مظلوميته هو أحد الشعائر التي يأتي بها الشيعة تأسيسا برسول الله ﷺ والأئمة المعصومين الذين حثوا على ذلك، كما روي عن أبي جعفر عليه السلام: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين، حتى تسيل على خده، بوأه الله بها غرفا يسكنها أحقابا»^(٥).

ثانياً: زيارة سيد الشهداء عليه السلام والحث عليها، فقد ورد عن النبي ﷺ، والأئمة المعصومين عليهم السلام ما يبين فضل زيارته وما أعده الله تعالى من عظيم الأجر لزارئ سيد الشهداء عليهم السلام، فمما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال الحسن بن علي عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا أبتاه ما جزاء من زارك؟ فقال الرسول: يا بني من زارني حيا وميتا، أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقا علي أن أزوره يوم القيامة، فأخلصه من ذنوبه»^(٦).

ثالثاً: إقامة المجالس التي يستذكر فيها المؤمنون ما جرى على سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا»، فهذه الحرارة تتجدد وتتقد في كل عام وفي كل مكان عندما يدخل شهر محرم، فيحيي المؤمنون تلك الفاجعة بالدموع والحسرات والآهات والبكاء تأسيسا برسول الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام.

ثم أن المؤمنين عندما يقيمون تلك المجالس لا

(٥) ثواب الاعمال: ٨٣.

(٦) علل الشرائع: ٤٦٠/٢.

الشعائر الحسينية وأثرها في المجتمع الإيماني



الشيخ سعيد الجبوري

النيل من المقدسات، وأعراض المسلمين وغيرهم، هبّ أرباب الشعائر الحسينية، فشمروا عن سواعدهم وقد استحضروا شعار (هيهات منا الذلة)، فكتب الله تعالى على أيديهم النصر.

٤- الترابط والتآخي والتعاون بين المؤمنين من خلال اجتماعهم في المجالس، والزيارات، وجميع الشعائر، فإنهم يجتمعون فيها بحسب نوع ومكان وزمان الشعيرة، فربما يكون العدد بالآلاف، أو الملايين. فمع اجتماع مثل هذه الأعداد التي لم يكن لها نظير في العالم، لا بد من وجود تعاون تام وعلى كل المستويات، وهذا ما يحصل وما نشاهده عيانا ويشاهده القاضي والداني.

ولم يقتصر الأمر على فترة إقامة الشعائر، بل أخذ المؤمنون بتنظيم لجان ومواكب لدعم الفقراء والمحتاجين حتى من غير الشيعة، بل حتى من غير المسلمين، حين حلت جائحة (كورونا) مثلاً فقد تكاتفوا فيما بينهم وضربوا مثلاً أعلى، والعالم الآخر أصابه الاضطراب والفوضى، وما تلك الخصائص والصفات الحميدة إلا من آثار الشعائر الحسينية.

يقيمونها للبكاء فقط، وإن كان أمراً مطلوباً في ذاته، بل يتذكرون فيه أمر أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم، وهذا أمر حث عليه أئمتنا عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال للفضيل: «تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال عليه السلام: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل رحم الله من أحيأ أمرنا»^(٧).

واستمرت تلك الشعائر الحسينية حتى أصبحت هوية وعنوان الشيعي، يفخر بها، ويحافظ عليها، لما لها من فوائد جمة نذكر بعضها:

١- إن هذه الشعائر تمثل مدرسة متكاملة يتعلم فيها الشيعة وغيرهم تعاليم الإسلام المحمدي الأصيل، وأحكام الدين الاسلامي، من خلال مجالس الوعظ والإرشاد، وبيان الحلال والحرام.

٢- تقوية الترابط بين المؤمنين وبين أئمتهم عليهم السلام من خلال إحياء أمرهم، وبيان وضعيتهم التي وكلهم الله بها من هداية العباد.

٣- بيان مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وأنهم وقفوا في وجه الظلم، ورفضوا الانصياع له وهو ما جسده الامام الحسين عليه السلام في ثورته الخالدة، فإن هذه الثورة أصبحت مدرسة لشيعة وجميع الاحرار في رفض الظلم، وعدم الانصياع للذل والهوان، وأنه لا بد من رفضه حتى لو كلف ذلك الاستشهاد وإزهاق الأرواح، وهذا ما شاهدناه في عصرنا الحاضر عندما حاول أعداء الإسلام